المحاضرة الثانية

الأسلوب والأسلوبية

"الأسلوب هو مرآة الروح، فهو يُعبر عما لا يُقال ويكشف عمق الفكر، وأما الأسلوبية فهي العلم الذي يُضيء الطريق لفهم تلك الأعماق، وقراءة صمت الكلمات".

||بوروبة حفيظة||

مقدمة

خضع "علم اللغة" في القرن التاسع عشر للتأثيرات الفلسفية السائدة حينئذ؛ مما جعله مادياً يعتبر اللغة شيئاً متعيناً يستحيل فكّه إلى أجزاء متباينة، ووضعياً يهتم بالأسباب المباشرة للظواهر، وإن كانت بطبيعتها تطورية تاريخية. وكان طموح علم اللغة وقتها يتمثل في إقامة تصورات علمية للغة تطابق نموذج العلوم الطبيعية المزدهرة، أما مجاله المفضل فهو الصوتيات؛ إذ أنّ مادة اللغة المحدودة الخاضعة للملاحظة العلمية المباشرة، وإن كانت تند في نفس الوقت عن المراقبة الواعية للفرد الواعي، تعقبها في ذلك الصيغ الصرفية، ثم يأتي بعدها النحو حيث تصبح عملية إخضاع المادة للمنظور التاريخي الوضعي أشد عسراً وتعقيداً.

أما الأسلوب، فهو ظاهرة ذات أصل فردي وطبيعة نفسية فلم يكن ليجد له مكاناً في هذا الإطار الذي لا يعني من اللغة سوى بخواصها المادية الطبيعية دون اهتمام بعلاقتها بالفكر، والذي يركز على حقائقها بغض النظر عن صلتها بالأفراد المنتجين لها.

ولكن تطور الفكر العلمي، وتجدد الفروع اللغوية لا يلبثان أن يعيدا إلى فكرة الأسلوب أهميتها، وقد ساعد على ذلك تياران هامان في علم اللغة؛

الأول: التيار المثالي الذي أدى إلى النقد البنّاء للمادية التحليلية العقلية، و**الثاني تجديد المنهج الوضعي ذاته**؛ بحيث يشمل ملاحظة الفكر والحياة، ويؤسس العلوم الإنسانية على قواعد تجريبية، وعقلية معاً.

فأصحاب المنهج (التيار) المثالي يعتدون بالتمييز الشهير الذي أقامه "همبولت (Alexander von Humboldt) بين العمل والطاقة، ويعتبرون اللغة أداة سلبية للجماعة، لكنها في نفس الوقت فعل مبدع للفرد، ويعارضون الفكرة الشائعة حينئذٍ عن اللغة واعتبارها شيئاً أو جوهراً؛ مركزين على طابعها كمجموعة من العمليات والإجراءات، فهي تمثل لديهم فعلاً إبداعاً فردياً يتخذ صفة العموم بمحاكاة الجماعة وتبنيها له؛ ويصبح خاضعاً للقوانين النفسية والاجتماعية التي تؤثر بدورها على الأفراد المبدعين للغة والمتقبلين لها؛ فهي إذاً خاضعة بشكل مباشر لهؤلاء الأفراد، ولظروف حياتهم، ومزاجهم، وثقافتهم، وعمرهم، وجنسهم وغير ذلك من العوامل المؤثرة فيهم.

وعلى هذا تصبح اللغة في جوهرها مجموعة من الوقائع الأسلوبية ينبغي الاعتداد بها من وجهة نظر الأسلوب؛ وإن كان من البيّن أن كلمة أسلوب التي تستخدم هنا تتجاوز حدودها التقليدية لتشمل كلّ عنصر محدث في اللغة ينتمي إلى الفرد ويعكس أصالته. ويتبنى "دي سوسير (Ferdinand de Saussure) "في تحليلاته ثنائية "همبولت" القائمة على التمييز بين اللغة الحرة المبدعة للفرد، واللغة الثابتة المقعدة للجماعة، ويطلق على الأولى اسم "الكلام" مبقياً على كلمة "اللغة" للثانية، ومحدداً خصائص كل منهما ونتائج التمييز بينهما على كل المستويات، ومبرزاً بالتالي فكرة الأسلوب الملازمة للمستوى الأول.

وتأسيساً على هذا، فقد نشأ اتجاهان في علم الأسلوب: أحدهما يتمثل في علم أسلوب التعبير، ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر في عمومه، وهو الذي ربما كان يقابل بلاغة الأقدمين، والثاني هو علم الأسلوب الفردي، وهو في واقع الأمر نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التي تبدعه وتستخدمه، ومن هنا فهي دراسة توليدية، وليست تقويمية، ولا تقعيدية، مما يجعل محورها مختلفاً عن محور المدرسة الأولى. فعلم أسلوب التعبير لا يخرج عن نطاق اللغة، ولا يتعدى وقائعها في حد ذاتها، أما علم الأسلوب الفردي فهو يدرس نفس هذا التعبير في علاقته بالأشخاص المتحدثين به؛ الأول يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي، أيّ أنّه وصفي بحت؛ والثاني يحدد بواعثها وأسبابها؛ أي أنّه توليدي، الأول يهتم بالنتائج ويتوقف على علم الدلالة ودراسة المعاني في ذاتها، والثاني يعني بالمقاصد ويرتبط بالنقد الأدبي.

والجديد في كلا الاتجاهين يتمثل في اعتمادهما معاً على علم اللغة؛ حيث يصبح الأسلوب موضوعاً للدراسة العقلية المنظمة بعد أن ظلّ خلال فترة طويلة نبأ لانطباعات النقد الذاتي المبعثرة. ومعنى هذا أنّه كلّما اشتد طموح علم الأسلوب ليصبح علماً للتعبير كلما اقترب مرّة أخرى من منطقة البلاغة، لكنها بلاغة تتكئ على تصور جديد لوظيفة اللغة والأدب، باعتبارهما تعبيراً عن طبيعة الإنسان وعلاقته بالعالم. هذه المبادئ الجديدة، وما يترتب عليها من نتائج هي التي تجعل العالم اليوم يعترف بعلم الاسلوب باتجاهاته المختلفة.

I. نشأة الأسلوبية:

حظي النص الأدبي باهتمام وعناية الدارسين والمحللين، فمارسوا عليه عدة قراءات، منها السياقية سابقاً، والنسقية حديثاً. والقراءة الأسلوبية من القراءات النسقية التي تهتم بالجانب اللغوي من النص، وفي المعيار اللساني تعني الأسلوبية التعبيرية صورة من صور الانزياح، والعدول عن معيار الدقة والصواب في اللغة، فهي بحث فيما يتجلى في النصوص الأدبية من انتهاكات متعمدة للمعايير النحوية والدلالية، والاستعانة بقواعد إضافية واختيارات من جهة، واستخدامها في تحسين الأداء التعبيري من جهة أخرى.

1. تأثير الاستعارة في الدراسة الأسلوبية

يُعد تتبع الاستعارة، على سبيل المثال، ضرباً من الإجراء على هذا المستوى، وقد لوحظ أن الاستعارة تقوم على ضرب من التوازي بين المستعار له والمستعار، وقد توقف عند هذا كثيرون، ومن هؤلاء "جان كوهين (Jean Cohen) في "بنية اللغة الشعرية(structure de langage poétique) "، و"يوري لوتمان (Youri Lotman) "في "التحليل البنيوي للغة الشعر(la structure du texte artistique) "، و"مكاروفسكي (Jan Mukařovský). "غير أن الفضل في شيوع هذا اللون من الإجراء يعود "لشارل بالي (Charles Bally) "وتلاميذه الذين توسعوا توسعاً أكبر في دراسة التعبير الأدبي، على أساس أن التعبير الأدبي وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها المرسل لاجتذاب اهتمام القارئ، والتأثير فيه، أو عليه، وقد تحول مفهوم التعبير فيما بعد إلى حدث فني، إلى جمالية، فالكاتب لا

يفصح عن إحساسه وشعوره إلا إذا أتيحت له أدوات دلالية ملائمة وتعبيرية رائقة، وما على الأسلوبي إلا أن يبحث في هذه الأدوات، وأن يعمل على دراستها، وتصنيفها، بغية وضع النص الأدبي في موضعه المناسب.

2. شارل بالي وريادة الأسلوبية التعبيرية

كما ذكرنا أن مؤسس الأسلوبية هو "شارل بالي"، وعُرف منهجه فيها "بالأسلوبية التعبيرية" أو "الوصفية"، وإليه تنسب ريادة الأسلوبية، وبالتحديد "علم الأسلوب التعبيري". وله مؤلفات في هذا المجال بدأت منذ سنة 1902 م، حيث أصدر كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي(Traité de stylistique française) "، ثم توالت دراساته المطولة حول هذا العلم سواء على مستوى التنظير أو التطبيق، ومن أهم هذه المصنفات "الوجيز في الأسلوبية (Précie de stylistique) "عام 1905 م، و"الأسلوبية الفرنسية (La stylistique française) "عام 1909 م، و"اللغة والحياة (La langage et la vie) "عام 1932 م، و"اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية " (Linguistique generale et linguistique française)عام 1932 م، وقد أحدثت هذه الدراسات تأثيراً واسعاً في كثير من المدارس الأسلوبية التي جاءت بعده، وعلى نحو خاص تلك التي تأثرت بالنزعة الوصفية في منهجه.

3. مفهوم الأسلوبية عند شارل بالي

فشارل بالي" يرى أن الأسلوبية هي "علم يدرس العناصر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التأثيري". فالأسلوبية من هذا المنطلق تبحث عن أسلوبين، أحدهما لا يعنيه إلا إيصال الأفكار للمتلقي بدقة، والآخر يشد إلى التأثير على المتلقي. ولم يركز "بالي" كثيراً على النوع الثاني (الخطاب الأدبي)، إذ يرى أنه شأن يخص الفرد المنتج، ولذا كانت الأسلوبية التعبيرية "لبالي" تتجاهل تحليل النص الأدبي، لأن أسلوبيته أسلوبية لغوية جاءت لتكمل ما صنعه أستاذه "دي سوسير .(Ferdinand de Saussure) "فأسلوبية "بالي" تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي: أنّها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغوياً، أي: أنّها تدرس الكيفية المتبعة في اللغة للتعبير عما في النفس، يقول "شارل بالي": "إن علم الأسلوب هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي"، ولعل "بالي" في ذلك تأثر نوعاً ما بالمدرسة النفسية التي ترى في كل حدث لغوي تعبير عن جانب نفسي لمنتجه.

4. تصنيف "بالي" لمستويات الخطاب

يبحث "بالي" عن الآثار الوجدانية في اللغة، مما دفعه إلى وضع بعض التصنيفات للغة "مستويات خطاب حسب طبيعة الحدث اللغوي نفسه" مثل: "لغة الرعاع"، و"لغة الفلاحين"، و"لغة النخبة"، و"لغة الأطباء"، و"اللغة الأدبية". ومن هنا كان الأسلوب عند "بالي" هو تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية، والتأثيرية، والانفعالية التي تميز أداء عن أداء، ومن شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى أخرى.

إذن الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" تتناول مستويات التعبير اللغوي حسب المنتج من جهة والمقام من جهة أخرى، مع تضمين الأدوات اللغوية المستخدمة في كل طريقة تعبير، وقد استبعد "بالي" النص الأدبي من أسلوبيته، لأنه يمثل لغة تخص شخصاً بعينه، وهو الشاعر الذي تفنن بطريقة انفرادية في تفجير طاقات اللغة في نصه. ولقد ركزت الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" على دراسة لغة جميع الناس بما تحمله تلك اللغة من أفكار خالصة، وما تحمله من عواطف ومشاعر. فهي تدرس "وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية"، أي: أنّها تدرس تعبير الوقائع عن الحساسية المعبر عنها لغوياً، كما تدرس فعل الوقائع على الحساسية. ومن هنا كان العمل الأدبي عنده لا يعدو أن يكون ركيزة، أو وعاء، أو حجة تتيح تحليل وقائع اللغة العاطفية، وليس هدفاً للتحليل الأسلوبي.

واعتمد "شارل بالي" في تشكيل أسلوبيته التعبيرية على أرضية معرفية يمكن استجلاء معالمها العامة بالنقاط الآتية:

- اعتماده على المنجزات الكبيرة التي حققتها اللسانيات لدى "دي سوسير" في دراسة اللغة.
- اعتماده على مبدأ "دي سوسير" في تفريقه بين اللغة والكلام.
- اعتماده على النظرة اللسانية الحديثة في توجهاتها المنهجية نحو إضفاء صفة العلمية على دراسة الظواهر اللغوية بأشكالها كافة، حيث حاول "بالي" استثمار هذه النظرة وأن يضفي على أسلوبيته صفة العلمية بكل ما تتطلبه من التزامات. وهو بذلك قد فارق النقاد والبلاغيين القدماء في طريقة تعاملهم مع الأنماط التعبيرية اللغوية والأدبية على حد سواء، فهو لم يقصد بأسلوبيته دراسة الأساليب الأدبية، لأن هذه الأخيرة تعبر عن قيم جمالية فردية متميزة، وإنما المقصود لدى "بالي" دراسة الآليات، والمظاهر، أو الآثار التعبيرية في كل لغة، دراسة موضوعية علمية شمولية.
- اعتماده على منجزات علم اللغة في مجال دراسة الخطاب التداولي بشقيه المنطوق والمكتوب، إلا أنه ركز على اللغة المنطوقة أكثر من غيرها، لاعتبارات تعبيرية تتصل بالجانب الاجتماعي الوجداني للذات المتكلمة.

5. **أنواع الأسلوب حسب تصنيف بالي:**

وفقاً لرؤية "بالي"، نجد أن الأسلوبية التعبيرية تتمثل في تفريقه بين نوعين من الخطاب (الحدث اللغوي):

- **الأول: الحدث النفعي**، وهو الخطاب الذي لا هدف من إنتاجه سوى الإبلاغ، أي توصيل معلومات محددة للمتلقي، وهذا الخطاب يلتزم بالقواعد والقوانين اللغوية كلها أشد الالتزام، وهو محور أسلوبيته التعبيرية.
- **الحدث الأدبي**، وهو نوع يتضمن قوة التأثير على المتلقي. ولم يكن هذا النوع من الحدث اللغوي الذي تهتم به الأسلوبية التعبيرية، إذ يرى "بالي" أن هذا شأن يخص المنتج لما عنده من طاقات تعبيرية استطاع بها تطويع الأداة اللغوية للتعبير عن إحساسه.

ومن أهم النقاط البارزة في الممارسة النقدية لهذه المدرسة ما يلي:

- الأسلوبية عندهم سمات وخصائص داخل لغة تعبر عن جوانب عاطفية وانفعالية.
- تتم عملية رصد هذه السمات وفق مستويات لغوية منتظمة تشمل: "الصوت، المعجم، الدلالة"، بالإضافة إلى ظواهر الصورة والمجاز.
- تقصي الكثافة الشعورية العاطفية التي يشحن بها الكاتب نصه في استعمالاته النوعية.
- عملية الكشف والتوصيف لكل خصوصية لغوية لتحقيق جانب المتعة الجمالية والدقة الموضوعية.

6. تطور الأسلوبية التعبيرية:

بعد "بالي"، تطور مفهوم الأسلوبية التعبيرية، وأصبح يُعنى بالنوع الثاني من الخطاب، وهو الخطاب التأثيري (الأدبي). أدى هذا إلى نقل الأسلوبية من ميدان اللغويات إلى ميدان النقد الأدبي. وقام تلاميذ "بالي" لاحقاً بتطوير هذا الاتجاه عن طريق التوسع في دراسة التعبير الأدبي، فبحثوا في الأدوات التي يحتاجها الأديب للإفصاح والتعبير عن إحساسه الخاص. وهنا تأتي مهمة الأسلوبي، التي تتمثل في بحثه واستقصائه لتلك الأدوات التي استخدمها الكاتب للتعبير عن أحاسيسه، تلك الأدوات التي نقلت الخطاب النفعي وحولته إلى خطاب تأثيري.

II. الأسلوبية والأسلوب:

شهدت الأسلوبية تطوراً كبيراً خلال القرن العشرين، حيث انتقلت من التركيز على دراسة الأساليب الأدبية إلى نطاق أوسع يشمل تحليل كافة أنماط التعبير اللغوي، معتمدة على مناهج مستمدة من علم اللغة الحديث. كان الهدف من هذا التوسع هو إضفاء صبغة علمية على دراسة الأسلوب، وفصله عن النقد الذاتي والانطباعي الذي ساد في القرون السابقة.

1. تعريف الأسلوبية والأسلوب

تُعرف الأسلوبية Stylistique على أنّها "علم الأسلوب"، وهي مشتقة من لفظة "أسلوبstyle "، وقد أضيفت إليها اللاحقة "ية" لإضفاء الصفة العلمية، تماماً كما يقال: "علم الأسلوب"، وذلك جرياً على نحو "الشعريةpoétique "، و"الألسنيةLinguistique "، و"السيميائية sémiotique "وغيرها من المصطلحات.

أما "الأسلوب" فهو طريقة الكتابة التي يستعمل فيها الكاتب الأدوات التعبيرية لأهداف أدبية، ويُعرّف بأنه "محصلة مجموعة من الخيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل". وينطوي مفهوم الأسلوب على جملة من الموضوعات والمنطلقات المختلفة، فهناك المنطلق الشخصي، والمنطلق الاجتماعي، والمنطلق اللغوي:

- **المنطلق الشخصي**: يحدد الأسلوب من خلال السمات النفسية للمرسل الفرد.
- **المنطلق الاجتماعي**: يحدده من خلال الطبقات، والشرائح، والفئات الاجتماعية.
- **المنطلق اللغوي**: ينظر إلى الأسلوب من منظور العلاقات اللغوية التي تتشكل منها الرسالة أو النص.

بالتالي، يُنظر إلى "الأسلوب" كطريقة في الكتابة تتماهى إلى حد كبير مع "فن البلاغة"، سواء كان هذا الأسلوب لكاتب معين، أو لجنس أدبي، أو لعصر من العصور. بمعنى أن "الأسلوب" هو "فن البلاغة الحديث" الذي ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي تحت عنوان "الأسلوبية"، والذي تحول تدريجياً من طريقة في الكتابة إلى طريقة في الكتابة والنقد. يُعد الفيلسوف الألماني "نوفاليس Novalis Friedrich "أول من استخدم هذا المصطلح، وكانت "الأسلوبية" عنده تختلط مع "البلاغة". وتبعه في هذا المفهوم "هيلانغHilang "، الذي عرّف الأسلوبية بأنها "عمل بلاغي". ثم انفصلت الأسلوبية عن البلاغة والتحقت بميدان الدراسات اللسانية، حيث يُعد "دي سوسير Ferdinand de Saussure "رائدها الأول.

2. **الفرق بين "الأسلوب" و"البلاغة":**

يكمن الفرق بين مصطلح "الأسلوب" الذي اشتُقّت منه "الأسلوبية" وبين "البلاغة" في الأساس الذي نشأ عليه كل منهما. فقد نشأت "البلاغة" العربية على أساس معرفي قبل أن تتطور إلى جانب جمالي. ويعود ذلك إلى أن البلاغة العربية بدأت كعلم يُعنى بتمثيل الأفكار المجردة بصور حسية، خاصة من خلال التشبيه والاستعارة. لكن مع مجيء الإسلام، وتحوّل تركيز الفكر العربي من الحسي إلى الغيبي، برزت تحديات جديدة أمام التشبيه، مما أدى إلى تأسيس علم البيان، الذي أصبح لاحقاً جزءاً من علم البلاغة.

III. ثنائية اللغة والكلام:

يرتكز حقل الأسلوبية على ثنائية تكاملية هي من أساسيات التفكير اللساني، وقد أحكم استغلالها علمياً "دي سوسير". وتتمثل هذه الثنائية في:

- **اللغة:** كواقع اجتماعي ونظام مشترك.
- **الكلام:** كصورة لغوية يتحقق من خلالها استعمال اللغة في حالات محددة ومواقف معينة.

اعتمد كل اللسانيين بعد "سوسير" هذا التمييز، وحاولوا تركيزه في التحليل اللساني وتدقيقه بمصطلحات تتناسب مع سمات اتجاهاتهم.

1. **إسهامات "دي سوسير" في الأسلوبية:**

قدمت الأسلوبية لدى "دي سوسير" مساهمات هامة عبر فكرتين رئيسيتين:

- **التمييز بين "اللغة" و"الكلام":** فاعتبر "سوسير" اللغة نظاماً رمزياً متعارفاً عليه، أما الكلام فهو تطبيق الفرد لهذا النظام في الواقع. يقود هذا التمييز إلى فكرة الأسلوب، حيث ترتبط السمة الأسلوبية باستخدام اللغة بطريقة خاصة، مما يجعل الأسلوب جزءاً من الأدب.
- **الاختلافات اللغوية وعلاقتها بالمواقف:** فاللغة تتغير حسب المواقف الاجتماعية والجغرافية والثقافية. تتأثر الاختلافات بالعوامل التالية: الجنس، العمر، المهنة، البيئة الاجتماعية، المناسبات الاجتماعية.

2. إسهامات "شارل بالي" في الأسلوبية:

هنا، أخذت الأسلوبية تتسع وتتحدد معالمها بشكل أوسع إذ وجّه شارل بالي اهتمامه إلى دراسة اللغة عامة، متجنباً التوسع في أشكالها الأدبية، حتى يمكن القول إنه "اهتم بدراسة اللغة مفرداتٍ وقواعدَ، ولم يهتم بدراستها استعمالاً خاصاً، أو بما يستطيع الفرد أن يفعله بها في ظروف معينة وغايات محددة".

وصنّف "بالي" الواقع اللغوي فجعل الخطاب نوعين:

- **الخطاب غير المشحون:** يحمل ذاته فقط، وهو ذو طابع حيادي.
- **الخطاب المشحون بالعواطف والانفعالات:** حيث يرى بالي أن المتكلم قد يُضفي على الفكر عناصر عاطفية متنوعة تتأثر بظروف اجتماعية أو شخصية.

وعليه، قسّم شارل بالي الأسلوب إلى نوعين:

- **الأسلوب التعبيري:** ذو وظيفة إبلاغية تهدف إلى توصيل الأفكار بدقة، ووسائل هذا النوع من الأسلوب تكمن في دراسة التعبيرات اللغوية المرتبطة بالحياة اليومية. كما أشار "بالي" إلى أن اللغة الطبيعية تتحدث عن الحياة اليومية وتخدم وظائف بيولوجية واجتماعية، وهي ليست في خدمة الفن أو المنطق الصرف.
- **الأسلوب الأدبي:** ذو وظيفة فنية، حيث يُعتبر العمل الأدبي متميزاً بأبعاده الخاصة. من أبرز رواد هذا النوع "ليو سبتزر Leo Spitzer"، الذي قال: "أي تحليل للنص يجب أن يبدأ بنقد جمالي، بمشاركة وجدانية، ويعد الأسلوب الأدبي أكثر تعقيداً من الأسلوب التعبيري وأسمى منه، لكونه يشكل أساس النصوص الإبداعية ولبنة دراسات الأسلوبية".

3. تعريفات الأسلوبية:

تعددت تعريفات الأسلوبية، وكان لكل باحث رؤيته، ومن بعض هذه التعريفات:

- الأسلوبية هي البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب.
- الأسلوبية تُعنى بتحليل شكل النص مستفيدةً من معطيات اللسانيات.
- الأسلوبية هي نوع من الحوار بين القارئ والكاتب عبر النص.
- عرّفها "جاكبسون" بأنها بحث عمّا يميز الكلام الفني عن غيره من مستويات الخطاب.

4. نقد المنهج الأسلوبي:

أظهر المنهج الأسلوبي بعض القصور، حيث اعتبر النص وحدة منفردة دون الربط بين منشئه والمتلقي، مما أدى إلى تحديات في توضيح القيم الإبداعية الحقيقية. وتبنى بعض الباحثين العرب دعوات للتقليد الأعمى للأسلوبية الغربية، مما أفقد الأسلوبية جذورها الأصيلة في التراث العربي، والذي يتمتع بقيم جمالية وأصول فكرية قوية.

IV. نحو منهج أسلوبي عربي:

في ظل الدعوات المستمرة لتبني منهج أسلوبي عربي، يتوجب إعادة قراءة التراث العربي بتمعّن وفهم أصيل لاستنباط الأصول الأساسية التي يمكن من خلالها إثراء الدراسة الأسلوبية مع الحفاظ على الهوية التراثية. ويُقترح دراسة العلاقة بين الألفاظ والمعاني، مع التأكيد على وحدة النص الأدبي، دون تجزئته أو تفكيكه بصورة تفقد المعنى الكامل. إذن، هناك حاجة إلى تطوير منهج أسلوبي عربي يحافظ على أصالة التراث ويعكس القيم الجمالية التي يمتلكها النص العربي. يتضمن هذا المنهج الخطوات التالية:

1. **إعادة قراءة التراث العربي:** يجب قراءة التراث العربي بتمعّن ووعي لاستنباط الأسس الأساسية التي يمكن استخدامها في التحليلات الأسلوبية، ولتكون دليلاً على أصالة هذا التراث، وفتح الطريق لأساليب التحليل الأسلوبي التي تنبع من التراث العربي الأصيل.
2. **دراسة العلاقة بين الألفاظ والمعاني:** ينبغي أن تؤخذ العلاقة بين الألفاظ والمعاني بعين الاعتبار، بحيث يتم تحليل الصور الفنية كامتداد لهذه العلاقة، دون تغليب أي منهما على الآخر، بما يضمن الوصول إلى جوهر النص الأدبي وسر جماله دون الغوص في تقسيمات معقدة قد تبتعد عن الغاية الأساسية.
3. **التأكيد على وحدة النص الأدبي:** يجب دراسة النص الأدبي كوحدة متكاملة دون أن يتم تفكيكه ودراسة عناصره بصورة منفصلة، إذ أن هذا يؤدي إلى فقدان المراد وتشويه معالم الإبداع الحقيقي في النص.
4. **دراسة المقومات الأسلوبية:** تُعنى دراسة الأسلوبية بتحليل المقومات الأسلوبية للنص الأدبي، وتقييمها من خلال المصطلحات التي اعتاد عليها الأدب العربي، دون إدخال مصطلحات أجنبية تفسد السياق العربي وتضعف الفهم لدى القارئ.
5. **الحفاظ على التوازن بين الذوق الفني والعلمية:** من المهم الحفاظ على التوازن بين الذوق الفني والأصالة العلمية في الدراسة الأسلوبية، بحيث يبقى الفن الأدبي مفهوماً للقارئ العربي، ويعبر عن طموحه وجمالياته.

من هنا يمكن تقديم تعريف للأسلوبية ينطلق من آراء الباحثين العرب الذين تبنوا الدراسة الأسلوبية كأداة للتحليل الأدبي؛ فهي تُعنى "بعلم الأسلوبStylistique "، الذي ينظر للأسلوب بوصفه "طريقة الكاتب في استخدام الأدوات التعبيرية لتحقيق غايات أدبية معينة"، حيث يصبح الأسلوب محصلةً لمجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة المتاحة.

كما أن الأسلوبية تشمل عدة منطلقات، أبرزها:

- **الشخصي:** حيث يعكس الأسلوب السمات النفسية للكاتب.
- **الاجتماعي:** يتمثل في تأثير الفئات الاجتماعية والثقافية.
- **اللغوي:** يتجلى في الروابط اللغوية التي تشكل النص.

V. خلاصة:

إنّ علم الأسلوب يتجاوز كونه أداةً للتعبير، فهو جوهر يضفي على النص الأدبي طابعاً خاصاً يعبّر عن شخصية الكاتب وهويته الفكرية. الأسلوبية، بما تقدمه من مناهج تحليلية وأدوات دقيقة، تمكننا من فك رموز النصوص وفهم أبعادها الخفية، وتعمق إدراكنا لتعقيدات اللغة التي تترابط بين البنية والمعنى لتخلق تأثيراً يمتد إلى وجدان القارئ.

فالأسلوب يمثل الجسر الذي يصل بين الذات الفردية للكاتب وبين الفكر الجماعي الذي يتفاعل مع النص. عبر هذا الجسر، تُبنى تجربة أدبية فريدة تربط بين مبدع النص ومتلقّيه، حيث يجد القارئ نفسه متورطاً في عالم الكاتب، مشاركاً في أحاسيسه وأفكاره. هنا تأتي الأسلوبية لتفتح لنا نافذة نحو هذا العالم الأدبي، فنتمكن من رؤية الأدب كحوار حي يتجاوز الزمان والمكان، ويصنع من اللغة كياناً متجدداً يزدهر مع كل قراءة جديدة، محتفظاً بهويته المتفردة ومعزّزاً حضور الكاتب في ذهن القارئ.

ختام القول، الأسلوبية هي مفتاح يُمكّننا من استكشاف جماليات اللغة وعمق النص الأدبي، فتمنح الأدب قوةً فريدة تجعله ليس مجرد كلمات تُقرأ، بل حياةً تتنفس، وتعبيراً ينمو ويتجدّد.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1998.
2) سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 1983.
3) رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991.
4) عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980.
5) غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، تر: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، 1958.
6) شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، الكويت، 1986.
7) بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
8) فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 2000.
9) هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية "نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، 1989.
10) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1977.
11) لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، مصر، 1970.
12) سمير شريف، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العراق، 1988.
13) جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، 1999.
14) عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989.
15) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984.
16) هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981.